أزمةُ الشعر: نصوصٌ لشعراء شباب

عماد فؤاد، علي جازو، عمر إدلبي، عبد الوهّاب عزّاوي

أبيض

عماد فؤاد (شاعر من مصر)

الخفيفُ الذي يتْركُكِ وحيدةً عاريةً في فراشكْ،

الكَتومُ وهو يرمي إليكِ عينيْن تَظْهران من تحت هالتيْن سوداويْن خلَّفْهما السَّهرْ،

الصَّبيُّ الذي كَبُرَ على يديْكِ وكَبُرْتِ على يديهِ،

السِّكِّيرُ الذي تفوحُ من فمِهِ رائحةُ الكُحولِ ودخانُ السَّجائرِ،

الضَّاحكُ ذو القهقهةِ العاليةِ التي تُخْجِلُكِ أمامَ الغُرباءِ،

العابرُ الحائكُ المغفَّلُ البليدُ الحسِّ المتأنِّقُ ذو العِطْرِ الذي لا يُشَمُّ إلاّ بالأناملْ،

العَطوفُ وهْو يَمَسُّ خدَّيْكِ بظهرِ أصابعِهِ في لحظاتِ البكاء،

الخجولُ الحَيِيُّ ذو النَّظرةِ المُنْكسرةِ وأنتِ تكيلينَ لأذنيْه جُمَلَ المديحِ،

المُغازِلُ الجِلْفُ الذي يتحسَّسُ فرائِسَ يَعْبرنَ بعينيْنِ تقيسانِ المُنحنياتِ والدَّوائرَ النَّاقصةَ والفالِتَ والرَّجراجَ،

المُهْمِلُ العنيدُ الكسولُ النَّاعمُ الآمِرُ المُتردِّدُ الرَّاقصُ المُتبرِّمُ المُدَوِّنُ الماحِي الصَّبورُ ذو الأظافر الخشنةِ مثل عبْدٍ أو أجير،

البكَّاءُ القانعُ المهرِّجُ اليائسُ الطَّيبُ الغشيمُ الزَّارعُ الحاصدُ،

الأبُ الطِّفْلُ الرَّؤوفُ اللاهي مع ابنكِ تحت الأسرَّةِ والمناضِدِ وفي أركانِ البيتِ،

الأعمى الأصمُّ الذي يستقرئُ الحروفَ بيديْن تجسَّان وجهَكِ المبْهم،

المتوسِّلُ النَّاسي سجينُ نفسِهِ النَّاظرُ إلى الحيطان كأنَّ الغيبَ كامنٌ خلْفَها،

دودةُ الكتبِ ذو الأصابعِ المُحبَّرةِ وقصاصاتِ الورقِ المتناثرةِ أينما نظرتِ،

النَّاحلُ الطَّويلُ المُغبَّرُ المُشَعَّثُ الآكلُ الهادئُ الرَّاكضُ،

ذو الذَّقنِ النَّابتةِ واليدِ التي تُفْلِتُ ما تقبِضُ عليه،

الغريبُ النَّحيفُ العصبيُّ العجولُ المتأنِّي المتمهِّلُ البطيءُ،

ذو القدمِ التي تضْربُ الأرضَ كأنَّه يريدُ أنْ يَفْلقها...

يتدحرجُ الآن في عتْمةِ السُّلَّمِ

يهوي كحَجَرٍ ثقيلٍ من فوق الدَّرجاتِ مسطولاً وغارقًا في صراخه ومَنِيِّه!

فَلُمِّي أشلاءه عضوًا عضوًا،

جُرِّيه إلى فِراشِكِ ونَظِّفيه جيّدًا،

افسَحي لجسده الذي مَلأتْهُ الكدماتُ الزُّرقُ مكانًا دافئًا جوارَكِ،

دثِّريه بجسمِكِ كأمٍّ،

وأَنْصتي لعرشٍ يهتزُّ في الأعالي،

علَّه يرتاحُ في رقدته الأخيرة!

القاهرة

نوافذُ ساحة النجمة وشوارعُها

علي جازو (سورية)

(إلى ذكرى نزار قباني قبل كاظم الساهر)

تلك النوافذُ الكثيرةُ الطويلةُ الكئيبة

المتقشّرةُ كبشرة الأبرص المتعرِّقة،

تلك النوافذُ الشبيهةُ بأبوابِ منازلَ ريفيةٍ،

غَبَرتْها عوادمُ سرافيس العاصمة، سلختْها عن

كلماتِ الهواء المتناوبة بين شفاهٍ ـ كم تُشْبه أجنحةَ ذبابٍ شتويّ ـ تقذف تفالها اللزجَ حول أواني الزهورِ المهملة،

أسفلَ الستائر المستسلمةِ كأمنياتٍ محتضرة، والحنينُ يَخْنق

العيونَ بأياديه الزرقاءِ المرتعشةِ المنتفخة

كلونِ أوردةِ أعناقِ بحّارةٍ غرقى، بحّارةٍ بلا زوجات!

.....

أيتها النوافذُ، أيتها الشُّرفاتُ الضيّقة، أيتها الشوارعُ المسلولة،

قلبي يتشقّقُ مثلَ تلويحةٍ مزغردةٍ دامعة، مثلَ ارتجاجِ شبقيٍّ ينغرز
في جلودِكِ الرصاصيةِ الفاترةِ كصناديق انتخابات البلّديات الزنخة؛
قلبي يرتعش مثلَ أصابعِ مدمني المخدِّرات، مثلَ فتياتِ الليل
الوقحات، وأنا أشمّ أعمارَكِ تحت ألسنة العصافير الخفيفة
كضربات موتزارت الناصعة، فوق أسلاك الغسيلِ الممدودة
المتدلّيةِ الواهنةِ كثمار ألفِ عامٍ من الآلام،
وأنا أرتعش كالمخنوق، كالمنتشي، كالراقصِ المعربدِ المخمور؛
أتذكّر، مثلَ حريقٍ ينبض داخل صدغيَّ الثقيلين كأذنيْ حمار،
أتذكّر أنّ المدن، على تيهها وعهرها،
تَرْحم موتاها بظلالٍ كثيفةٍ ناعمة!

....

يا ساحةَ النجمة المقوّسة، يا نصفَ دائرةٍ تُشْبِه
قطعةَ حلوى مأكولة حتى العنق، يا حلمًا ناقصًا
كهلالٍ برتقاليٍّ في أمسيةٍ عطلةٍ صيفيةٍ منعشة، يا وجعًا
سريّاً منسيّاً سئمًا كقرط «مَرْيَمْكِهْ» ـ
عاهرةِ القامشلي العجوز ـ كحبّةِ موزٍ مرقّطةٍ
رَسَمَها يوسف عبدلكي بعقلِ يديْه الحاذقتيْن الكئيبتيْن؛
أيتها الساحةُ المحروسةُ بالخوفِ والرذيلة،
أيتها الساكنةُ بين ظلماتِ الريح المتعفّنة...
أقبّلُ مساماتِ الضوء الشبحيةَ على صدركِ العاري
كبطنِ تفّاحةٍ جبليةٍ نضرةٍ وسطَ مياهٍ وسخة،
أقبّلُ كشكَ الزاوية الصغيرة المثلّثة حيث يتقاطع
قلبُ يسوع مع ترابِ فاتح المدرّس الخشن مع مخمليّات نزار
قبّاني مع مواءِ فتيان الـ gay المرحين كأكاذيب المسرح القوميّ
والشرطيّ الفقير شاكر شكري منذ خمسين سنة من العهر
المنظّم والكوارث المنظّمة، حيث تباع ثرثراتُ الجرائد والمجلات
النظيفة كتعليقات الدبلوماسيين، والكتبُ الرخيصة كفُتاتِ
حفلات كوكتيل سفارات أوروبا العجوز المتصابية.

.....

آه آه، كم أنا متعبٌ وتالفٌ ومختنق!
قدماي سعيدتان برخاوة حذائي الرياضي
يَمْسحُ الشوارعَ المضطربة الخرساءَ كفضّةِ شهر رمضان؛
عيناي تَعِظان دمشقَ بالموتِ مثلما
يَعِظُ الكتابُ الكريمُ بحجارةٍ من نار؛
عيناي مزدحمتان بدمعٍ باردٍ نقيّ
كحوضكِ الحليبي المكتنزِ اللطيف.
لم أَترُكْ ظلاً للغيم على سطوحِ منازلكِ الشرهة الغاوية،
لم أَترُكْ سوى عظامِكِ المحوّةِ بأثياب الليالي العسكرية؛
جسدي يغطّيكِ، وأنفاسي تَرْفعكِ، فمي يتقيّؤُكِ، وقلبي يبكيكِ،
ونظراتي المرتخيةُ المتآكلةُ، مثلَ وجهِ ياسمينةٍ مقصوفة،
تَعْكس روحَكِ العذبةَ، آمالَكِ الغبيّةَ المهشّمة!

دمشق

الأميرة (مقطعان)

عمر إدلبي (شاعر سوري)

(١)

جفنُها مطرٌ
يتهادى على وجنةٍ
ياسمينْ.
رمْشُها يتوسّط باحةَ روحي،
ويَرفع أجراسَ أدمعهِ
ماسةً .. ماسةً
لترفَّ كسربِ غناءٍ حزينْ.
ليتها لم تكن صوتَ قلبي،
إذنْ، لتركتُ لعمريَ طيَّ صحائفها

منذ بَدْءِ الأنينْ.
صدّقوني، بَكَتْ نايُ أشجارَها
وأنا أقرأ الصلواتِ سلامًا عليها،
وأشتمُّ ما يملأ الروحَ منها.
بكت، وشكَتْني إلى شارعٍ
كان فيه أنايَ
يقيس ظلالَ أبي بخطاهُ الصغيرةِ
ثم يُسابِقُها برشاقةِ ظبيٍ.
بَكَتْ
ـ صدقوني ـ مصابيحُ علّقها الليلُ
في ثوبه منذ حينْ.
يا مصابيحَها!
كم كبرتُ ولَمّا تَزَلْ دون بيتٍ
تعود إلى حضنه في الصباحِ!
وكنتُ أسلّي صبايَ وسهرتَها
بقصائدِ «درويشَ»،
والشامُ ترقبُ راضيةً غزلَ الليلِ.
يا ليتها تتذكّر ما علّمتني صبيّاً
لَمّا كنتُ ـ هذا الأوانَ ـ غريبَ مفارقها!
بين قلبي وأسوارِها
ما يدثِّرُ أرضًا تعرّتْ من الشمسِ،
أسوارُها الطيّباتُ،
عَنَيتُ ائتلافَ الزنابق
والياسمينِ على راحتيها،
وليس نهوضَ الرُّدى
حجرًا ... حجرًا حول قامتها،
ليتها لم تكن ضوءَ قلبي
ولم يكُ هذا الصبيُّ حَنُونا.
طيّبونَ كما ينبغي لقرنفلةٍ يا دمشقُ،
ونحتاج أجنحةً
لا سـجُونا!

(٢)
لا يَعْلم تأويلَ الأحزانِ بعينيْها إلاّ قهري،
ويظنُّ الرّاسخُ بالأحزانِ دمي
بابًا لدمشقَ.
إذًا،
والآن، وبعد خلوِّ الشامِ من الأبوابِ،
وبعد خلوِّ الشارعِ من حرّاسِ خطايَ،
سأكتب تأويلي:
فأميرتُنا المسمومةُ تَرْقد بين يَدَيْ نومٍ،
والساحرُ والحُرّاسُ على الأسوارِ،
ويَلْزمني للبابِ الثامنِ ملء خطايَ
وملء يديَّ وروحي.

دمشق

... إلى من بقي من الأحياء

عبد الوهاب عزّاوي (شاعر سوري)

الجوقة:
تَشْحبُ الكلماتُ
عصافيرَ صفراءَ ميتة..
صمت..
ـ ترتّب جوقةُ الموتى أشلاءَها..
تتبادل الملامحَ
وبقايا الطلقات.. ـ

الجوقة:
هنا..
تَغرق الوصايا
في الدماء
ويعلو الغناء
على أنوثة الطلقةِ الأولى
واللحمُ الطريّ يشفّ
كالمجاز..

«هيولى لها شكل وجهٍ أليف»		
ميت ١: في الأرض الواسعة.. ترتعش الظلال وأنا على حافة المشهد كضربةٍ زائدةٍ عن اللوحة أنفض روحي كسجادة رملٍ وأسحب ما علق بها من ضوء الأموات وأعلّق على أصابعي كيسًا نحاسيّاً أُصفّي به حكمتي الحامضة	ميت ٢: في الأفق.. يكبر الأطفال مالحين كأعواد الذرة «قلوبهم تمتدّ شاحبةً في الهواء والشمس جثةٌ نافرة».	ميت ٣: في الحلم.. حليب البلاد تعفّن في أثداءٍ تنبت بريةً في الوحول..

الجوقة:
بثياب المدرسة
يمضي الصبيانُ إلى الموت
وبلح الأكباد تمائمُ ناقصةٌ
الحقائبُ محمّلةٌ بالقلق
والحدقاتُ واسعة
خلفَها سهلٌ
يرتجل القلب مذابحَه..
النهرُ يمضي محمّلاً بجثثه
والريح بأدعية المُقبلين على الموت
وبقايا الفوسفور..
والبلاد..
أو ما كانت بلادًا
حقلُ ثعابينَ ملونةٍ والغربانُ غيوم
..

ـ صدفةً التقى قاتلٌ وقتيلٌ في مقهًى للموتى حول طاولة الزهر..
لم يعرفا بعضهما.. وحده النردُ مَنْ عرف.. ـ

ميت ٤:	
في الأرض الواسعة..	
أسير..	
أسيرُ كليلٍ على حافة السور	
ويدي أنثاي الناقصة..	
	ميت ٥:
	عَرَقُ البلح يضيء الروح..
	والتذكّر فاكهةُ الموتى
	هذي النخلةُ عانةٌ ترتعش..
	ويدي فخٌّ..
	نخبَكم أيها القادمون
	نخبَ أراملِكم وأمهاتِكم
	نخبَ هذا الجنون..

يقول المراسل الصحفي:
ضوضاء.. صراخ.. ذهول.. سيارات إسعافٍ.. حمْلات اعتقال..
أنوفٌ تنغرز في التراب تحت وطأة الأحذية.. نساءٌ تُفترعُ والطائرات
عناكبُ تسير على سقف السماء.. دمامل القلب تنتفخ كالأجاص..
جوعٌ.. عرقٌ باردٌ.. نبض متفاوت الصدى بين القاتل والقتيل..
اكتشافٌ جديدٌ في الكيمياء الحديثة لتفاعُلِ الدم مع اليورانيوم..

ـ هديرُ طائرات يَقْطع التقريرَ والجوامعُ تكبِّر.. ـ

نعوشٌ برتقاليةٌ.. فراشاتٌ حمرُ.. مللٌ.. كسلٌ.. تسوّلٌ على
أبواب البعثات الإنسانية أو مكاتبِ القتل.. أحياءٌ مؤجّلو الموت
وشهداء يئنّون: لم يستشرنا أحدٌ بموتنا..
يقول أحدُ الشهداء ـ أزرق القلب ـ: «مضيت لأشتري قليلاً من
البندورة ثم..»
ودودةُ أرضٍ تقول: «ينافسنا الأمواتُ على التراب..»

شمسٌ متوحّشةٌ تكفّن الجثث.. شمسٌ خافتةٌ من ثقب في الزنزانة
.. عصيٌّ في الشروج.. كهرباء تَعْبر اللحمَ.. والحلاّجُ يكتب
هواجسَه على غيمٍ يَنْبت فوق الصليب..

فوضى.. أكاذيبُ.. كوابيسُ.. آسٌ يعرِّش في لحم البلاد،
والمدافنُ الجماعيةُ مقامٍ حداثيةٌ.. سماءٌ قاحلة.. قمصانٌ خاوية..
دودٌ أليف في لحم الأقرباء.. قلْ أعوذُ بربِّ الفَلَق..
وسياسيّاً: الخريطة تتّسع والكلُّ ينقص..
صفيرٌ ما.. يَسْقط المراسلُ..
نفير..

الجوقة:
فوق هذي الطلول عاد الغزاةُ مرةً أخرى
الثيابُ تغيّرتْ..
والملامحُ ذاتُها
خوفٌ متوحّشٌ، حراشفُ معدنيةٌ،
وقلوبٌ تنتفخ كغلاصمَ..

في السماء..
القمرُ خفٌّ مثقوب
ينير مذبحةً ناقصة.

في الصدور
ينبت الصبّار عصافيرَ محنّطةً
فالموت أمسى حياةً بطيئةً
كشوكٍ يبزغ في المرايا
أو العلم الوطني..

دمشق